كَحدِّ السِّنانِ القُلَّبيِّ القَحيضِ

وَالْخَضَمُ الْيَسَنُ قال :

تَأَى خَضَمٌ يُسَقَّى الْمَاءَ عَجَّاجِ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور

(الفرنسويين) بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليه في سياق تاريخنا للآداب العربيَّة. وكان تلامذة العلَّامة دي ساسي يمشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة ويستخرجون من اغوارها اللآلئ الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخراً وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرِّقة لم تُجمَع في سفر خاص

فمنهم فلجانس فريل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابه الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولته. وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة علميَّة وكلت فرنسة نظارتها الى فريل لما عهدت فيه من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّته بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلَّف فريل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفه منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفري ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليَّة ولهُ ايضاً مقالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّة التي وُجدت في جهات اليمن

واشهر منهُ رجلٌ عصام وعالم عامل جارى في فضله امام عصره العلامة دي ساسي نُزيد به اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرّج منذ حداثة سنّهِ في العلوم الشرقيّة على دي ساسي الموما اليهِ . واستحقّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العمومية ومخطوطاتها الثمينة ثمّ تولّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيّة والسريانيّة والكلدانيّة والفارسيّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتّى أضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقية الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لأنّهُ خلّف بعدهُ نيّفًا ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقية وكلّ اللغات السامية وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنّفات كنوزًا من المعارف يتحير لها عقل المطالعين . امّا تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمتهُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريّة وتآليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متّسعة في جغرافي العرب وفي مؤرخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلّد ضخم آية في حسن الطبع . وقد ألّف كتبًا عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين وجعل القول لم يدع فنًّا الّا صنّف فيهِ كتبًا تُعَدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيّة بمضامينها العلميّة .

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجيره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور . وتوفّي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعًا في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علّق عليها الحواشي وترجمها . وقد صنّف كتابًا في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي ڤرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصره عن تاريخ معلّمه دي پرسفال واضاف اليه مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليه العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ثرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاته وكان احد حفظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة ثمّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفته الى سنة وفاته. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفه لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزّينهُ بالمقدّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدّة مقالات لغويّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبي. بفضله الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفّي مستشرق ثالث فرنسوي. وسريّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) وُلد في بلاد پروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرّج بالآداب العبرانية على بعض الربّانيين في بلده ثمّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلّم العربيّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوّل مدّة في القطر المصري مع الوزير كريمو. ثمّ تفرّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليه العبرانية. وقد أُصيب في آخر عمره ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة. ولهُ عدّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخص منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتابات شتّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في

فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويّة مقامات الحريري . ومن مصنّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنه فخلقهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبته شكر تلامذته . ومن ثمار اجتهاده عدّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفه شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض وله ابحاث في اللغة العاميّة ومجاميع عربيّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمه . ومن آثاره ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربية معلّم آخر وهو المعلّم كُنبارِيل (E. Combarel) نشر ايضاً عدّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربية في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاته

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلامة بيرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في پولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويّة الذي يُعدّ طبعهُ في مصر بعد طبعته الباريزيّة في مجلّدين ضخمين . وقد نقل المصحف الى الفرنسويّة وترجمتهُ معروفة بدقّتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاته من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثاره العربية المسيو پارُون (A. Perron) نشر تآليف جمّة ونقلها الى الفرنسويّة ففي سنة ١٨٣٢ أَلّف كتاباً في اصول اللغة العربيّة وطبعهُ على الحجر ثمّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغته ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصنـاعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلّدين وكتاب ميزان الحضريّة للشعرانيّ في الفقـه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلّدات انتهى من طبعه سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلّق عليه تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان مولّه (J. J. Clément - Mullet) الذي ادّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثه عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمتهُ الفرنسويّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريّا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوّام . وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو مولّه في مجلّدين وعلّق عليه التعليقات الخطيرة . ولهُ ايضاً في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالات متّسعة في المواليد الطبيعيّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو مولّه سنة ١٨٧٠

(الالمانيُّون) تقدَّمت الدروس العربيّة في المانية في هذه المدّة بهمّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيه جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالاً للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليه تعليمها في كلية بونّة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كفاتهُ مجهودهِ في نشر المآثر العربيّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلّدات ضخمة اتمّهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمّ اختصر ذلك المعجم . وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال . ولهُ كتاب واسع في فنّ العروض بالالمانيّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي انسهُ الى يومنا هذا بين مواطنيه كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكراً طيباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في پروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيـة ثمَّ درس التركية والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغات الشرقية في غريسفالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمَّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلَّداً من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدَّمات والشروح ونشر ايضاً مجلَّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتها وطبع معلَّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همَّةً ونشاطاً واتساعاً في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيَّـة ثمَّ سافر الى ڤينَّا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتهـا الشهيرة ثمَّ تجوَّل في عواصم اوربَّة الى ان احتـلَّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلِّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمَّ عاد الى بلادهِ فتولَّى التدريس في معاهدها العلمية مدَّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّداً منها كتاب كشف الظنون لحاج خلفا في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسهـا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينَّا العربية في ثلاثة مجلَّدات ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو بديع في بابهِ ولهُ تآليف أُخرى في فلاسفة العرب ونُحاتهم ونقلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم وهو من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخاً موسَّعاً للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات ممَّا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعـد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلاً . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريَّة الالماني فرانس وايك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبـة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرج ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ باباً لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلّات العلمية في برلين ورومية وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعلق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان ولرباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنّف كتاباً في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلّي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدّة مطبوعات . توفي في برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن . وقد برّز فولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسيًّا لاتينيًّا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم وكان عالماً باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن حلّزة وطرفة مع شروح الزوزني عليها ونقلها الى اللاتينية وصنّف ايضاً كتاباً في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدّدوا طبعها بهيئة استيفان اثنا سيادس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذيّلها بالشروح . ولم يقف على سنة وفاته

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدّة في دمشق بصفة قنصل دولته وعُني بدرس اللغات الشرقيّة وجمع عدّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلته الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاته كتاب مقدّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاته

ومنهم ايضاً هنري جوزف فتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درّس اللغات الشرقيّة في كلية فريبورج الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكراً طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب فولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيّة العاميّة . وقد نقل الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيّة وبيّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج البغاء

ومنهم اخيراً تيودور هاربوكر (Th. Haarbüeker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربيّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الربّي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويّون) لم يبلغ النمسويّون في درس العلوم الشرقيّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر پورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنّهِ ان يتكلّم بالعربيّة والفارسيّة والتركيّة

ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة . فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألَّف عددًا لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتنأَّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيَّة في ١٨ مجلدًا . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلَّدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسية ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أبيها الولد » للغزالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصًا لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضًا تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلَّات الشرقيَّة فاصبح في بلاده محورًا للاداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألَّف كتابًا في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الاداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديُّون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقيَّة عمومًا والعربيَّة خصوصًا . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم تاودور جريبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعًا باللغة العربيَّة متقنًا لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية ولواحق مختلفة . ونشر ايضًا تاريخًا مخطوطًا للسامرة ونقلهُ الى اللاتينية مع ملحوظات عديدة في اخبار السَّمرة . وكذلك نشر كتاب مراصد الآطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتس (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعًا

دعوه بالشرقيّات (Orientalia) ومن مآثره ايضاً مقالة في الترجمة العربية السامريّة المحفوظة في مخطوطات باريس . وكان لجوينبول ابن تقفّى خطوات والده فاشتهر ايضاً بعلومه الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعده نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقلهُ الى اللاتينية وقدّم عليه المقدّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تا كو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمّة والثبات . باشر سنة ١٨٢٥ منشوراته الشرقية بدرس اخبار ابي العبّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمّ ألّف كتاباً في قواعد العربيّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم . وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاته الشرقية المارّ ذكرها . توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هندريك ڤايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفاً ثمّ اتّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيه الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيّة بكنوزها الادبية . ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالآداب العربيّة . اخصّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدمة الدين البروتستاني وتخرّج في كلّية اوكسفرد وكان جلّ اهتمامه باللغة السريانيّة وآدابها . وقد خدم الآداب العربيّة ببعض المصنّفات الدينيّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيى بن حزير (ويروى جرير) التكريتي . ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ . وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفي وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولّت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية (Society for the Publication Oriental Texts) نشرت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً . ومما كانت نشرتهُ رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٩) وبهمَّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوَّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمَّهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربيَّة فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلَّقات ومختصر المعاني للتزريني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أُخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة الهنديَّة . فلمَّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمَّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي وكشاف الزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشَّاف اصطلاحات الفنون لمحمَّد علي الفاروقي التهانوي ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالرلوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيَّا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكاديمية الملكية تبعث الهمم وتنشط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيَّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيَّا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن وللمعلَّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني مارك الارض والانبيـاء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستـاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطير في آثار الاداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلّة بطرسبرج العلمية — واهتمّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقيـة في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى. كان يعرف اللغات التتريّة والفارسيّة والعربيّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيّات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخيـة في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزيّة

وكذلك (الاسبانيُّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولا سيّما العربيـة لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيُّهم كاينكوس (Pasc. de Gayungos) الذي نشر في لنـدن وبجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنهـا وصف قصر الحمراء مع بيان آثاره وتفسير كتاباته الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنـة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليُّون) فانَّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصرًا في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمَّ الّا الكردينال العظم انجلو ماي (A. Mai) الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعية في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت لهُ ذكرًا في العـالم كلّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes). ولقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكردلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية. وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجده من الآثار النصرانية واثبتها في مجموع مطبوعاته . توفي الكردينال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً مهد الطريق لابحاث رينان الاثرية . توفي الاب بوركنود في نشرين من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب فنيك والاب بولس ريكادوتا ألفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقوية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوّل في انحاء الشام ونظّم احوال الجمعية الاميركية ووسع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقدّس وقد انجزه من بعده الدكتور فان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Solisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافية وعادات ووصف اديان نشراها في المجلّة الشرقية الاميركانية (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلّات التي تقدّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورها الثالث من القرن التاسع عشر وبه ايضاً نختام القسم الاوّل من تأليفنا هذا الذي سنجمعه ان شاء الله في كتاب مستقلّ وتلحقه بفهرس الأدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

من بوردو الى غواياكيل

لجناب الاديب اندراوس كوبا الملوني

رغب اليّ بعض الاصحاب ان اصف لهم رحلتنا من فرنسا الى بلاد الاكوادور (خط الاستواء) فلبّيتُ دعوتهم وارسلت الى مجلة المشرق تفاصيل سفرنا ولبثتُ